رواية

قمر بني كاسب

محمد أحمد جلال

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد ولد
آدم محمد صلى الله عليه وسلم
وبعد... لا خير فينا إن أطعنا
ظالماً فمن أحب ظالماً حُشر
معه ومن وقر صاحب بدعة
فقد أعانه على هدم الإسلام
والإنسان كائن حر يقدس
الحرية فهي كالماء بل هي أهم

من الماء فالموت جوعاً أشرف من الموت قهراً ،أهلاً بكم في بني كاسب.

إهـــــــــداء:

إلى أحبتي الذين لم أراهم بعد,
ولكنهم سكنوا الفؤاد عنوة

في قبيلة بني كاسب إحدى القبائل السبع في الصحراء الغربية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي يدخل علي ابن السيد محمد على

أبيه وأمه في خيمة السيادة وكان معهما جعفر ابن عمته وأخبر أباه أنه زج بأخيه حبيب في السجن ليقول له أبوه:

ماذا فعلت يا علي ؟

ثم أتبعه صفعة وقال له:

أتزج بأخيك في السجن أيها السافل عديم الفهم، اخرج واغرب عن وجهي!

علي:

قبل ان اخرج فليكن ذلك في علمك يا ابي انني لم اكن افعل ذلك باخي فهو النور لعيني والنبض لقلبي ولكنه سحب خنجره علي وكاد ان يقتلني.

=ماذا؟!

-سأذهب يا ابي ابقوا سالمين.

يحاول السيد محمد ان يلحق بابنه ولكن علي لم يتوقف واكمل سيره ولكن جعفر ذهب خلفه باشارة من السيد محمد.

ينادي علي على اصدقاء دربه؛عمر وسعد لكي يخرج من القبيله فاتى صوت من الخلف:

-علي توقف يا اخي!

=دعني يا جعفر ساذهب من هنا.

-على رجلك يا اخي على رسلك ان اباك قد غضب لما فعلته فقط مع اخيك،هيا قل لي لماذا سحب حبيب عليك الخنجر؟

=بسبب السم بسبب السم الذي يتجرعه قاتل الله من ادخله قبيلتنا!

-هكذا إذاً ؟حسنا هيا تعال معي نرجع الى الخيمه لان اباك يريدك.

=حسنا ساستمع لما سيقوله ثم ثم اذهب،هيا!

يدخل علي الخيمه وخلفه جعفر ليجد حبيبا خلف ابيه مطأطئاً لراسه فيبدا بالحديث جعفر:

-لقد وافق علي على الرجوع والاجتماع اليك يا سيدي.

=تعال يا علي وانت يا حبيب قبل ايدي بعضكما البعض.

فيتصافح علي وحبيب ثم ينزل علي ليقبل يد اخيه وكذلك حبيب فيبادر حبيب قائلا:

-سامحني بحقك يا اخي!

=استغفر الله يا اخي معاذ الله وهل يعقل ان لا اسامحك سامحني انت بحقك!

-مسامح يا اخي !

ساد الفرح وعم في الخيمه وقال السيد محمد للجميع اجلسوا ايها الابناء لدي ما اقوله لكم.

(يجلس الجميع)

قال علي تفضل يا ابي فقال السيد محمد بسم الله الرحمن الرحيم لقد تزوج ولدي حبيب منذ شهرين اسأل الله ان يرزقه بالذريه الصالحه اللهم امين.

فقال الجميع امين.

فاكمل السيد محمد وها قد حان وقت زواج علي ولدي الاصغر ما رأيك يا بني؟

فقال علي لا راي لي بجانب رايك يا ابي ،قل لي يحارب فساحارب قل لي تزوج فساتزوج امرك فوق راسي يا سيدي.

فابتسم السيد محمد ابتسامة عز وقال حسنا بارك الله فيك يا بني الم تسالني من هي ؟

فقال علي من هي ؟

فرد عليه سيد محمد قائلا فاطمه ابنة السيد محمود سنذهب سنذهب وسنطلبها بعد غد!

فقال علي جعل الله تلك الخطوه خيرا لنا جميعا!

فقال الجميع امين!

يقف علي من جلسته طالبا الاذن من ابيه قائلا ائذن لي يا سيدي بالخروج.

فقال سيد محمد العينه يا بني؟!

-للصيد يا ابي ساخرج للصيد.

فقال السيد محمد حسنا ولكن لا تفتعل المشكله مع احد هل سمعتني؟

فهز علي راسه موافقا حسنا يا ابي هيا ابقوا سالمين.

فخرج علي من الخيمه واخذ معه القوس والاسهم ووضع سيفه في غمده وطبنجته في الجراب وذهب ينادي على عمر وسعد يخرج معه في رحله الصيد.

لبى عمر وكذلك سعد نداء علي واسرعوا اليه وقال لهم علي هيا يا عمر وانت يا سعد هيا للصيد.

فاستوقفه سعد قائلا ما بك يا سيدي مالي اراك شاحب الوجه محزون؟!

فرد عليه علي منكرا لا لست حزينا او ربما موقف حبيب اثر في كثيرا!

فراح عمر يوجه كلامه لسعد معاتبا وممازحا انظروا الى هذا الدب كيف يثرثر هيا يا هذا يقول لنا سيدي اننا ذاهبون الى الصيد.

فقال له علي مهلا على اخيك يا عمر هيا لنمتطي الخيول.

يقول سعد مستفسرا الى اين يا سيدي ؟

ليرد عليه علي الى الجنوب عند قبيله بني حمدان.

وفي قبيله بني صالح تجلس فاطمه مع صديقاتها يتحدثن ويتبادلن اطراف الحديث في مواضيع شتى فتدفعها احدى الفتيات مداعبه لها قائلة لله درك يا ابنة محمود ستتزوجين فارسا مغوارا صيته يهز اركان القبائل السبع.

وتقول الاخرى ترى هل يحبك علي كما تحبينه انت؟

فترد فاطمه لا ادري يا سميه ولكني احبه حينما كان ياتيننا هنا مع عائلته كنت اشعر بطيفه يغزو القبيله تدرون انه قاتل من اجلي

رجلين كان يعاكسنني في قبيلته وكان اكبر منه في الجسم واظن ايضا في العمر.

رفع السيف على رقبتي احدهما وركل الاخر في بطنه ثم ثبته في مكانه بعدما رفع مسدسه عليه وقال لي اذهبي الى الخيمه وبالفعل ذهبت ولكن تخبات لارى ماذا سيفعل بهما اذا قال له اولهما لم تتحامى باسلحتك اخلعها عنك وارني قوتك المجرده وانت (ثم قام بالاشاره الى صديقه)وانت لا تتدخل.

فرد عليه علي بعدما رمى الاسلحه واصبح خاويه اليدين تعال لنرى لا تقصر فيما تستطيع ان تفعله.

تشابك ومسك كل واحد منهما كتف الاخر وبدا التلاحم والمغالبه حتى تمكن منه الرجل ورماه ارضا قد ظهر عليه التعب الشديد فاستمر على الارض حتى اليه الرجل وخال ان يحمله ولكن تفاجا بركلة قويه في قدمه (ساقه)!

ثم قام من مكانه فهجم عليه الرجل وحمله من ظهره ورفعه فضربه ضربه مزدوجه على رقبته شلت حركته فنزل وضربه عده ضربات في بطنه ومن خلفه جاء الرجل الثاني ليغدر به ولكنه تفاجا بعمر صديق علي يمنعه بركله في صدره ارداه ارضا.

فقالت سميه اخبريني متى سياتي فردت فاطمه قال لي ابي بعد غد.

وفي اثناء سير الثلاثه بالخيول لمح عليه ارنبا يجري امامه فاشار الى صديقيه ليوقفهما وكانوا على ربوه اي منطقه عاليه والارنب بالاسفل فمسك القوس.

الذي كان موضوعا على كتفه ووضع به سهما وبدا بالتصويب وسحبه وفي لحظه ما ترك يده وانطلق السهم مارقا واستقر في رقبه الارنب فكبر سعد فرحا وتبعه عمر ثم قال علي ما شاء الله هيا يا اخوه قل لي يا عمر كم معنا الآن؟

فقال عمر بفرحة عارمة: بهذا الارنب اصبح لدينا تسعه ارانب يا سيدي والحمد لله.

فقال سعد ممازحا عمر وكأنك ستأكل كل هذه الارانب بمفردك ايها الدب.

ينزل علي وخلفه صديقيه فوجد عند الارانب ثلة من الفتيات يبدو عليهن الفرح بالارانب وخرجت منهن واحده تحمل الارانب وتمشي خلفها الفتيات فانتظمت بعلي ورفاقه فهتفت الفتاه فيهم من انتم ولم تعترضوا طريقنا هيا افسحوا لنا الطريق.

فرد عليها عمر حسنا يا اختنا ولكن هذه الارانب لنا،نحن من اصطدناها.

فضحكت الفتاه قائلة انتم في ارضي انا وكل ما في تلك الارض لي انا السيده أسما ابنى السيد ادريس سيد قبيله بني حمدان.

نظره عمر الى سعد وتبادلا التساؤلات الاستنكاريه عما تقوله تلك الفتاه ماذا تقول تلك الفتاه ليس ذلك الصيد حقنا؟

الى ان قطع علي الحوار قائلا بحزم يكفي هذا هيا يا اخوه سنذهب.

وسار علي ومن معه نحو الخيول فامتطوها ومضوا في طريقهم وقبل ان يفعلوا اخذت أسما تتمتم ببعض الكلمات الاستفزازية.

التي اثارت حفيظه علي؛يا لهم من قطاع طرق حمقى يتطاولون على اسيادهم.

فنظر اليها علي وكانت الاخيره تنظر اليه ايضا وسحب سيفه قائلا لها بلكنه شديده اخذتي صيدنا ولم نتحدث بالرغم من ان هذا حقنا ونحن اولى به ولكن كرما مني تركته لك والان تسبيننا وتصفينا بالحمقى وقطاع الطرق اتدري يا امراه من انا؟

في نظرت له بعين متسائله من انت؟

فاجاب علي بعدما وضع سطح سيفه على كتفه الايمن انا علي ابن السيد محمد سيد بني كاسب.

فتحولت نظراتها من استهزاء الى تقدير واحترام ثم عاودت الحديث حسنا وماذا تريد يا سيد علي؟

فرد علي لقد هز راسه ثم نظر حوله اثناء فعله لذلك قال اريد صيدي لكي يعود من حيث اتيت.

فقالت له حسنا ولكن لدي شرط.

رد عليها باستغراب ما هو هذا الشرط؟ طلبت من احد الفتيات سيفا وقالت لعلي اريد ان ابارزك لقد سمعت عنك العديد من القصص والحواديت.

في نظر علي الى اصحابه مبتسما وقد هز راسه موافقا حسنا فلنتبارز اذاً!

تساله أسما متعجبه أتسخر مني اليس في قبيلتك نساء يحاربن؟

بعد ما ضحك أوانعدم الرجال في القبيله؟!

باغتته بضربه من سيفها ولكن.

تفاداها ثم وجهت له الاخرى فصدها بسيفه والتحم السيفان واصبحا في وضع المنافسه فارادت ان تدفعه بكتفها ولكنه فطن لتلك الحركه في فعل ذلك بلا جدوى وكادت ان تقع ولكنه وبالتفات سريع امسك يدها ومنعها من السقوط فقامت بسحب خنجرها بسرعه واودعته في صدر علي فنظر اليها وعيناه تتساءلان لم فعلت هذا أتردين علي المعروف بالاساءه ثم تتحولان عيناه الى الغضب وقام بركل يدها التي تحمل السيف ليسقط على الارض وقام بامساكها من رقبتها قائلا انظري اليه لقد سفكتي دمي وهذا لا يحدث معي كثيرا وكل من فعل ذلك هو الان بين احضان التراب الاسود.

ثم دفعها قائلا والان اذهبي في طريقك ايها المحاربون هيا سنذهب!

ثم اخرج الخنجر من صدره ولم يهتز له جفن ورماه امامها ثم امتطى جواده ورحل اما اسماء فوقفت في مكانها وكان الطير على رأسها.

وحينما رجع الى القبيله وقد بدات الشمس في الغروب واريد اهل القبيله ينظرون اليه ثم يردفون النظرات بنظرات نحو الارض وعلى وجوههم حسره شديده وقبل ان يدخل الى الخيمه وجد صديق

حارس الخيمه يقف بحصره شديده والاخر فلم يكلمه بل قال له ان يخبر والده بقدومه.

فاذن له السيد محمد بالدخول وحينما دخل وجد شيئا ينفطر له القلب امه واخوه مكبلان وابوه يجلس تحت رجل يجلس على كرسي السياده ويضع يده على كتف ابيه في موقف يحبس الانفاس انه عيذون امام الجبل قاطع طريق يسكن الجبل رجل ذو باس شديد كان يجلس في الخيمه ورجاله معه يملؤون الخيمه وبدا عيذون بالحديث الى علي قائلا كيف حالك يا علي؟

وجه عليه بصره نحو عيذون وبحده قال ماذا تفعل هنا؟

اتحولت تلك الابتسامه المصطنعه الى نظره يشوبها الكبر

والعتو قائلا اترد علي السؤال بسؤال اخر؟

ليلوح علي بيده غاضبا انظر لي هذا اتظنني غافلا عما يحدث هنا لا يا عيذون فليكن بعلمك ان حملتك هذه لا تزيدني الا حنقا عليك قل لي ماذا تريد الان والا....

فقال عايزون متسائلا والا والا ماذا يا علي انظر جيدا الى ابيك والى امك والى اخيك والى زوجه اخيك!

ليرد علي متعجبا اين زوجه اخي؟

في اشاره ايزون الى احد رجاله فاخرج من وعاء قماشي كان معه راس زوجه حبيب ورماها امام الجميع فصاح حبيب فطربه رجل في ساقه اعاده كما كان فسحب عليه سيفه وفي ذات اللحظه اخرج رجال عيذون اسلحتهم سيوفا وطبنجات وبندقيات وقال له علي

وهو يمد له يديه الاثنتين يريد ان يخنقه ولكن الرجال قد أمسكوا به دخلت قبيلتي بدون اذن

استحللت خيمتنا .

ادعو الله ان يميتني هذا اليوم لاني ساجعلك تتقيىء الدم مما سافعله بك عهدا علي موتك سيكون على يدي سيكون على يدي يا عيذون.

-بعد مرور يومين من تلك الوقعة

وفي الجبل مقر عيذون يجلس عيذون امام مائده من الطعام ياكل بنهم وكانها اخر مره سياكل فيها وفي كل مكان يوجد رجاله يحتسون الخمر ويضحكون كأنهم ثعالب ثملة وفي ركن قريب من عيذون يقف رجل مكبل اليدين والقدمين يعطي وجهه للحائط وظهره الى عيذون ،انه علي الذي هو في حاله لا يحسد عليها على ظهره اثار تعذيب ويساقط الدم من كل مكان في جسمه وعلى وجهه اثار ضرب مبرح قال له عيذون: اتريد ان تاكل معي يا علي؟بصق نحوه علي قائلا انا لا اتشارك معك حتى ذنوبي يا عيذون فاستمتع بالطعام جيدا قبل ان اجعلك تغرق في دمك.

فياتي رجل من خلف علي ويوجه له ضربة في ساقه وقال له كف عن الثرثرة يا هذا ودع الامام ياكل.

ثم بعد ذلك اشار ايزون للرجل بيده ان ياخذ المطرقه التي على المائده وقال له بان يطرق على كف علي الذي يمسك به السيف وبدا الرجل بطرق اليد بالمطرقه عده ضربات وفي كل ضربة يكتم علي وجعه في قرارة نفسه هو في اثناء الضرب يقول عيذون

بكلمات تجردت من المشاعر ما اجمل صوت كسر العظام يا علي احب الاصوات الى قلبي هو صوت كسر العظام.

يقابل علي كلامه بالضحك مما اثار تعجب عيذون ورجله قائلا اتدري ما احب الاصوات الي؟

قال عيذون ماذا؟

فرد عليه علي ضاحكا صراخ بنات آوى امثالك امام سيف البتار!

وهنا جن جنون عيذون وانهال يضرب علياً في جنبيه وفي ظهره وسحب السوط من على الحائط وبدا يجلد علياً بلا رحمه وعلي لا يصدر الا ضحكات متقطعه وحينما بدأ التعب على عيذون قال علي مستهزئا أتعبت يا امام الجبل ها؟يا هذا ان أيدي النساء عندنا اقوى من ذلك بكثير.

فقال عيذون بحزم اسمع يا هذا ان فعلت ما امرك به ستنجو انت وباقي افراد قبيلتك وان لم تفعل ساحرق قبيلتك ولن يبق فيها حي يتنفس ساجعل من يمر يوم من الايام على تلك القبيله سيتيقن ان هذا المكان لم يسكنه بشر بعد!

فرد عليه علي الاسد ينتمي الى الاسود وابن الكلب ليس له الا فصيله الكلبيات ماذا تريد يا ابن الكلب؟

فضحك عيذون كالثعلب النتن ثم التقط مخيطا من حديد مدبب بيد وامسك بيمناه المطرقه وجاء عند يد علي اليمنى وضع طرف المدبب بجوار العظم في منتصف اليد بالضبط ثم طرق فصرخ علي صرخة دوت في الجبل باكمله ثم قال عيذون لقد علمت ان محمد الصالحي يخطط لجمع القبائل السبع في دولة وهذا لن يحدث ابدا ما

دمت على قيد الحياة وانت من سيبطل هذا التحالف اذهب اليهم وحذرهم الا يقدموا على فعل ذلك والا سأصنع من جماجمكم برجا.

فقال له علي اهكذا اذا،حسنا فك وثاقي لكي أذهب!

فقال عايزون بعدما ضحك عده ضحكات متقطعه لا ليس الان يا علي!

-بعد خمس ساعات

وفي مكان قريب من الجبل الذي كان به عيذون يسقط علي وكانه جثه هامده لا روح فيها ولا حياه وجاء من الافق فارس ملثم على حصانه البني فرأى عليا على تلك الحاله فذهب اليه مسرعا وحينما راه وتاكد من هويته فخرجت منه شهقة فتبين ان هذا الفارس انثى حينما خلعت الوشاح الذي كان على وجهها فاذ هي اسما ابنه السيد ادريس ونظرت الى وجهه ويده اليمنى ثم وضعت يدها على فمها تكتم النواح واخذت تعمل على ايقاظه بشتى الطرق من سكب ماء على وجهه ومن ضربه على وجهه لكي يستيقظ لكن دون جدوى وفأجاة مر رجلان استغاثت بهما وحينما قدما عندها قالت لهما اننا تعرضنا للمداهمه وهذا ما فعلوه بزوجي فحبا في الله احملاه معي تلك المغارة فوافقا وحمل عليا نحو المغاره التي كان بها ثم انصرفا وظلت أسما بجواره تحاول ان تضمد الجروح وتنظر اليه تحدث نفسها يا لك من مسكين يا علي كيف فرطوا بك؟

وفجأة فتح علي عينيه فوجد نفسه في نفس المكان والتفت يمنة ويسرة فلم يجد عيذون ولا رجاله فاغمض عينيه ثم فتحهما مره اخرى فوجد اسما تقف عند راسه فقال لها كيف جئت الى هنا؟

فقالت الحمد لله على سلامتك اولا،انا من يسالك لماذا جئت الى هنا وما كل هذه الجروح التي ببدنك؟

فاعتدل علي في جلسته وتالم من يده اليمنى التي رأها ملفوفة بالقماش ثم نظر اليها وقال جزاك الله خيرا يا ابنة السيد!

فقالت له وهي تبتسم لا عليك قل لي من فعل بك هذا؟

فقال اريد ان اذهب الى القبيله الان هيا لكي نذهب.

لترد عليه حسنا هيا بنا.

وذهب علي ومعه اسما وخرجا من المغاره واستقبلهما حشد واسع من الناس على راسهم السيد محمود والسيد محمد و حبيب وحينما رآه حبيب ذهب اليه مسرعا وعانقه ثم قال له هيا يا علي هيا يا اخي.

وكانت اسما قد ارتدت الوشاح ولثمت نفسها ثم انطلقت ثم هي نحو بني كاسب ولم يلحظ احد ذلك لانهم كانوا منشغلين بعلي.

وحينما عادوا الى القبيله ودقت الطبول ونادى المنادي بيسمع من في القبيله: السيد علي قادم انهم قادمون.

فهرول الجميع خارجين من خيمهم ودخل حبيب على حصانه وخلفه علي وكانت أسما قد خرجت من خيمتها ونظرت إلى حال علي

وكأنها تطمئن عليه ثم قالت لمساعدتها هاجر:هيا يا هاجر لنعود أدراجنا!

***في اليوم التالي**

-وفي خيمة علي يجلس علي على فراشه وعنده عمر وسعد ويظهر على وجهه الهم جلياً ثم نظر إلى يده اليمنى وفك اللفافة من عليها ثم هم وقام وأخذ سيفه بيده اليسرى وخرج إلى مركز التدريب الذي هو عبارة عن أرض محاطة بالخشب وبها فزاعة للتدريب على السيف ولوح خشبي للتدريب على التصويب ،دخل علي المركز وحاول إمساك سيفه بيده اليمنى ولكنها لا تستجيب له تأبى إلا أن توقع السيف أرضاً ولكن بعد محاولات عديدة أمسك السيف وأحكم قبضته وقاوم الألم وكان أمامه عمر واقفاً بسيفه ينتظر بدء التدريب فقال له علي هيا ابدأ.

فقام عمر بالتلويح بسيفه نحو علي ولكن علي صد الضربة ووجه هو الآخر ضربة نحو عمر ولكن عمر صدها وأبعد السيف عنه وطار سيف علي تاركاً يده وهنا نظر علي إلى عمر وقال سيفي سقط يا عمر.

وسقط هو الآخر جاثياً على ركبتيه فأسرع إليه عمر وسعد ثم قال سعد:هون عليك يا سيدي سنجد حلاً عاجلاً أو آجلاً بإذن الله.

وفي تلك الأثناء تقدم عليهم أسما وحينما رآها علي أومىء إلى صاحبيه أن ينصرفا وانصرفا وأتت أسما وقالت لعلي الذي بان على وجهه الحزن:

كيف حالك اليوم يا سيد علي؟

ليرد عليها:

الحمد لله يا أسما،قولي لي يا أسما ماذا يحدث في الوسط؟

لترد أسما:

لقد اجتمع السادة بدعوة من السيد محمود سيد بني صالح هنا لكي يناقشوا أمر الوحدة.

فهز علي رأسه ثم هم لوضع السيف في غمده ولكن يده تؤلمه فلاحظت ذلك الأمر أسما وقامت بوضع هي السيف في الغمد وقالت له بأسف:

من فعل بك هذا يا سيد علي ؟

فنظر إليها ثم نظر إلى يده وقال:

عيذون،لقد نال مني ما نال لكي أخضع له ولكني لم أفعل!

لتقول أسما بصوت المطمئن:

لا تقلق يا سيد علي فإن القبائل ستتحد ولن يقدر أحد على مساسنا،أما بالنسبة لهذا الجرح الغائر فأنا سوف أصنع لك مرهما تدهنه عليه وفي ظرف أيام سيلتئم إن شاء الله.

فابتسم علي لها ثم قال:

جزاك الله خيرا يا أسما،لا تؤاخذينني في المرة السابقة!

فتهز أسما رأسها أفقياً قائلة:

لا داعي للأسف يا سيد علي فأنا بالفعل أخطأت وطعنتك،والآن سوف أذهب لكي أصنع المرهم ،هيا ابق سالماً!

وانصرفت أسما من عند علي وما زالت على وجهه البسمة من كلام أسما ثم سحب خنجره وصوب بيسراه نحو اللوح الخشبي فأصاب المنتصف!

ثم ذهب ليلتقط الخنجر ثانية وسار نحو خيمة السيادة .

في خيمه السياده يجلس السيد محمود على راس الخيمه وامامه باقي الساده فيدخل عليهم علي ويرمي السلام فياذن له السيد محمود بالجلوس فيجلس علي وقال السيد محمود لعلي فليكن بعلمك يا علي اننا قررنا ان نتحد تحت رايه دوله واحده قد اختارني جميع الساده على ان اكون على راس هذه الدوله.

فكبر علي ثم وقف وذهب نحو السيد محمود وعانقه وبارك له ثم عاد يجلس مره اخرى.

وقال علي اسمح لي بالكلام يا سيد محمود.

فاشار له السيد محمود بان يتكلم.

يعاود علي إلى حديثه قائلا ومخاطبا جميع الساده:

ايها الساده لقد اثلجتم قلبي بموافقتكم على الوحده فان عدونا غاشم ماكر كالثعلب النتن وقد داهم قبيلتنا وقتل زوجه اخي وقام باختطافي وتعذيبي من اجل عدم اتمام تحالف يجمع القبائل السبع واراد ان اكون ورقته الرابحه لكي يربح هذه الحرب.

قال السيد محمود بعد حديث علي:

لا تقلق يا بني فاننا سوف نتعامل مع هذا الكلب بالطريقه التي يفهمها ولكننا سنؤجل هذا الامر حتى نبني هذه الدوله ولقد قررنا ان تصبح قبيله بني كاسب هي حجر اساس هذه الدوله وسنستدعي الاهالي من باقي القبائل وننصب الخيام،وسنجعل العالم باسره يعترف بنا!

فعبس علي ولاحظ ذلك السيد محمود فساله ما بك يا علي؟

فتنهد عليه ثم قال:

يا سيدي أرى والرأي رأيك ان ندعنا من اعلام جميع الدول والامبراطوريات بدولتنا فلا احد يحب لاحد الخير خاصه حينما يتعلق الامر بالدوله والسؤدد،وبهذا ستزيد الأعين علينا وسيحد المتربصون بنا اسنانهم علينا ،اني ارى ان نتخلص من مصيبه عيذون اولا ثم نعلن لجميع العالم عن دولتنا.

[مدينة كافالا التركية]

وبعد مرور أسبوع!

يجري شاب عليه سترة بيضاء وعمة حمراء داخل سوق كافالا الكبير من رجال الشرطة الذين يهرولون سريعاً لكي يظفروا به وما إن أوشك على الخروج من السوق حتى فوجىء بأحدهم ينقض عليه من الجانب كما ينقض الأسد على فريسته فأوقعه أرضاً ثم قام وكان الشاب يحاول القيام ولكن الرجل الذي تبين أنه ضابط عثماني بادره بلكمة في وجهه ثم أردف:

أتظن أنك ستنجو بفعلتك هذه أيها الكلب عديم الأصل؟

ثم أمسكه من مجمع ثوبه وأوقفه على رجليه ثم قال:

انظر لي يا هذا وقل لي من الذي يمسك طوقك ؟

فابتسم الرجل ولم ينطق بحرف واحد وجاء الجند وأمرهم الضابط أن يصطحبوه إلى القسم من أجل التحقيق معه وبالفعل أخذه اثنان من الجند وسارا به وفي أثناء سيرهم دفع أحد الجنديين بكتفه فأسقطه أرضاً ثم وضع يده في جيبه وأخرج سكيناً وأودعها في صدره وقال قبل أن يلقى حتفه:

روحي فداء أبنائي!

وحينما رآه الضابط بتلك الحالة اشتاط غضباً وصرخ في الوسط بصوت مسموع:

أياً ما كان من يملك بزمام ذلك الكلب سأجده عاجلاً أم آجلاً وإلا فلم ينادونني بالسيد أركان!

بعد ساعتين

وفي قسم الشرطة بكاڤالا ينتظر ثلاث ضباط وهم ؛أركان وكنان وديلكان أمام مكتب الرئيس السيد تليد والثلاثة كانوا بجوار بعضهم البعض وكان ديلكان وكنان يتحدثان فقال ديلكان:

إن سيدي اليوم غاضب للغاية يا أخي!

وهنا تغير وجه أركان وعبس من كلام الضابتين!

وبعد قليل خرج من المكتب رجل مهيب أبيض اللون أصفر الشعر نظره حاد كنسر الشاهين صدره قوي كالنمر يمسك بيده عمامته الحمراء ويضعها على رأسه ويرتدي البذلة العسكرية الزرقاء والبطال الأسود ثم جاء نحو أركان ونظر إليه بغضب ثم قال:

أين ما يدين عيذون أيها الضابط أركان؟

فرد أركان:

سيدي لقد ذهبت خلف رجل عيذون!

فأتبع تليد:

ثم ماذا ؟

فرد أركان:

وأمسكنا به؟

فأردف تليد غاضباً:

ثم ماذا ؟ماذا يا أركان أفندي؟قتل نفسه مثل السبع الآخرين ها؟

فطأطأ أركان رأسه ثم قال:

نعم يا سيدي.

فهم تليد أن يصفعه ولكنه توقف ويمناه تبعد عن وجه أركان قيد أنملة ثم أمسكه من بذلته بيديه وقال:

إن أنخنا الرؤوس وثقل الكلام في جوفنا فمن سيكون لكافالا إذاً بل من سيكون للعدالة ؟عيذون يكبر يوماً بعد يوم يا أركان ،يجب أن نكسر شوكته!

[بيت عيذون]

يجلس عيذون في بيته على منضدة متوسطة الحجم عليها الكثير من الورق والأقصوصات والأقلام ،يتحدث مع أكثر رجاله ثقة وهو باران عن تحالف القبائل السبع قائلاً:

ولنفرض يا باران أن زعماء القبائل العجزة هؤلاء اتفقوا على الإتحاد في دولة واحدة تحت سيادة واحدة من من وجهة نظرك سيكون الرئيس ؟

فرد باران:

أظن يا سيدي ستكون السيادة للسيد محمود هو أقواهم وأكثرهم دهاءً!

فهز عيذون رأسه إيجاباً وقال:

لقد فكرت بشكل جيد يا باران،انا أعلم محمود جيداً ولكن اطمئن سيفكرون مراراً قبل إقبالهم على تلك الفعلة!

•صوت طرق الباب•

فقال عيذون:

من الطارق،افتح الباب يا باران!

فذهب باران لكي يفتح الباب فإذ به رجل يلهث من الجري ،إنه سليمان رجل من رجال عيذون!

فسأله عيذون باستغراب:

ما بك يا سليمان ما الخطب؟

فرد سليمان بأنفاس متقطعة:

سيدي لقد مات أوزان!

لينظر له عيذون ثم يقترب منه قائلاً:

من الذي فعل؟

قال سليمان:

لقد قتل نفسه يا سيدي لقد كادوا أن يجعلوه يتحدث ولكنه قتل نفسه دون ذلك!

فغضب عيذون وأطاح بكل الأشياء الموجودة على المائدة أرضاً ثم قال:

لا زالوا يحاولون الإيقاع بي ولكنني سألقنهم درساً لن ينسوه أبداً ،باران!

باران:

سيدي؟

عيذون بنظرة غل:

اجمع الرجال اليوم هنا،سأعلمهم مع من يتعاملون!

باران:

حسناً يا سيدي!

[قبيلة بني كاسب]

مع غروب الشمس يخرج من القبيلة فارس ثم ينظر خلفه نحو القبيلة ويضحك ضحكات خبيثة ثم يمضي في طريقه!

في ساحة التدريب يمسك علي السيف بيده اليمنى ويلوح به أمام عمر وهو في سعادة كبيرة لقد برىء من الجرح الذي تعرض له على يد سليمان رجل عيذون ،وتوقفا عن التدريب وقال عمر:

لم أراك سعيداً مثل اليوم يا سيدي،الحمد لله لقد أستعدت عافيتك مرة أخرى وويل للعدو من تلك الرجعة!

ليضرب علي على صدر عمر ويبتسم ثم يقول:

الحمدلله يا أخي،هكذا أشرقت شمس الحياة!

وجاءت أسما لكي تطمئن على حالة علي وأتت بالخبز والماء لكي يقتات بهما في تدريبه وحينما جاءت ذهب عمر وأخذ قطعة من الخبز ثم عاد وأكمل تدريبه ،أما علي فأخذ منها الخبز والماء وجلسا على صخرة وبدأ علي في تناول الخبز وقال لها بعد أن أكل قطعة منه:

جزاك الله خيرا يا أسما!

لترد أسما:

لم أفعل شيئاً يا سيد علي إنه مجرد خبز وقربة ماء!

فوضع الطعام جانباً ثم قال:

لا لم أقصد الطعام ،لقد أنقذتني من الموت وداويت جراحي فليجعل الله لك جيشاً من الأبناء يجوبوا تلك الصحراء!

فاحمر وجهها حياءً ثم قالت:

إن شاء الله يا سيد علي!

ثم أخرجت من جراب معلق عند وسطها خنجرا وأعطته لعلي وحينما رآه علياً تعجب ثم قال:

هذا الخنجر لي!

أسما:

نعم هو لك،لقد وقع منك في ذلك اليوم الذي التقينا لأول مرة!

فأعاد علي الخنجر في الجراب ثم أعطاه لأسما ثم قال:

إنه لك الآن يا أسما فأنا لست بحاجة له!

أسما:

لماذا ؟

علي:

لأن هناك خنجر في قلبي!

أسما:

أين هو أنا لا أراه؟!

ليضحك علي ثم يقوم ويمضي مبتعدا عن أسما وقال:

خنجر حبك أصاب قلبي يا ابنة السيد!

وهنا اغرورقت عيون أسما بالدموع فظهرت فيها لمعة ثم وضعت يديها على فمها خجلاً!

علي:

سأذهب اليوم وأطلبك من أبيك يا أسما فهل تقبلينني زوجا لك؟

أسما خجلاً:

لا أدري ماذا يحدث ولكني أحببتك منذ اللقاء الأول أيها السيد المجنون!

علي ضاحكا:

تعرفي ماذا يقولون ؟

أسما:

ماذا؟

علي:

المجنون لا يجذب سوى مجنونا مثله!

[كافالا]

في نفس الوقت زاد الصخب والضجيج في المدينة فالكل يجري والكل يتمتم بأن هناك حريق في السوق ،لقد حرق عيذون السوق وأباد من فيه هكذا كانت الأصوات تعلو كافالا وفي قسم الشرطة

يستعد الرئيس تليد هو وضباطه الثلاثة للزحف نحو السوق ،فامتطى حصانه وقال لهم

سأدخل السوق من الخلف وأنتم ستهجمون من الأمام هيا يا أبطال لأراكم!

وفي السوق الناس يركضون والرصاص ينهال علهم لكن لا يصيبهم فغرض عيذون بث الرعب في قلوب الأهالي ،هناك جيف لجنود وأهالي مرمية على الأرض والنيران تشتعل بالدكاكين وعيذون يقف على حافة السفينة وخلفه أهالي مكبلون (أسرى) ينتظر مجيء تليد ثم يهرب هكذا قال عيذون لباران وفجأة جاء تليد على حصانه وفي يده طبنجة وأخذ يضرب كل من قابله حتى أوقع ستة وانتهت الرصاصات فأخذ يلقمها ولكن جاء رجل من رجال عيذون وأوقعه من على الحصان فرمى تليد الطبنجة واستل سيفه وما إن اقترب الرجل نحو حتى بادره بطعنة أفقية من سيفه اخترقت بطنه ثم ركله فسقط قتيلا وجاء آخر وضرب بسيفه يريد أن يردي بتليد ولكن تليد تفاداها وصفعه ثم ضربه على رأسه فسقط مغشياً عليه حتى جرى نحو السفينة فوجد عليها عيذون يلوح بيده منتصراً ثم قال:

الوداع يا كاڤالا، المدينة من الآن فصاعدا أمانة عندك!

ثم أمر بإسدال الشراع وأخذت السيفة في الإبحار وجاء الضباط وشرع أركان في التصويب على السفينة ولكن تليد منعه وقال:

معه أسرى يا بني!

ثم وجه نظره نحو عيذون وقال بصوت مسموع:

اهرب الآن ولكن حتماً سأجدك ،سأضيق الدنيا عليك يا عيذون!

[قبيلة بني كاسب]

بعد صلاة العشاء يخرج السيد إدريس من خيمة الصلاة وذهب متجها نحو خيمته ولكنه تفاجىء بعلي ينادي عليه ليقف فتوقف وسلم عليه:

كيف حالك يا بني؟

علي:

لله الحمد يا سيدي،كنت أريد أن أتحدث معك!

إدريس:

وأنا كلي آذان صاغية!

علي:

أريد أن أتزوج ابنتك يا سيد إدريس!

فابتسم إدريس ووضع راحة يده على كتفه ثم قال:

يا لك من شاب لطيف يا علي،أين رأيت أسما ؟

علي:

هي من عالجت جرحي الذي تسبب فيه الأعداء!

إدريس:

حسناً ،سأسأل أسما ثم أرد عليك!

فسُر علي لذلك وقام بمعانقة السيد إدريس وقال له:

فليحدث ما هو خير للجميع يا سيدي!

وذهب علي نحو خيمة السيادة وكان أبوه قد فرغ من الصلاة مع أمه وأخيه فسلم عليهم وجلسوا هم الأربعة وسأله أبوه عن سبب فرحه هذا:

خيراً يا بُني أفرحنا معك!

علي:

أبي،أريد أن أتزوج من أسما ابنة السيد إدريس!

فنظروا إليه الجميع في استغراب بليغ ثم قالت الأم:

وماذا عن فاطمة ابنة عمتك يا علي؟!

حبيب:

ألم نعطي الناس كلمة يا هذا؟!

علي شاخصا مما يسمعه:

أنا أحب أسما وتحدثت مع أبيها قبل قليل ،أما عن فاطمة فأنا لا أراها إلا أخت لي!

فقام السيد محمد وقال لعلي:

تسحب كلامك إذاً يا علي،وأنا اعتبرتك رجلاً يُعتمد عليه!

فأحس علي بالإهانة ونظر إلى أبيه متعجباً قائلاً:

ما هذا الكلام يا سيدي أولست رجلاً ؟!

السيد محمد:

نعم أنت لست رجلاً ،الرجل من يتحمل كل نتاج تصرفاته ،الرجل من يعطي العهد ويفي به!

حبيب:

ماذا سيقول علينا السيد محمود إذاً ها؟

علي غاضباً:

لا تتدخل يا حبيب فأنا إن قررت أن أُنصح فأنت آخر الناصحين لي!

فهم حبيب أن يضرب أخاه ولكن السيد محمد قال:

تراجعا أيها الوقحان عديما التربية قليلا الأدب،أتضربان بعضكما أمامي أنا وأمكما؟

الأم:

ماذا حدث يا علي لقد كنت موافقاً على الزواج من فاطمة؟!

علي:

قبل أن أسمع ما قد قيل لي يا أماه!

السيد محمد:

وماذا قيل لك وممن؟

علي:

جاء لي السيد محمود أول أمس وقال أنه جاء لفاطمة خطيب وأراد مني أن أصرف النظر فسألته لماذا فقال إن ابنتي لا تريدك وشدد علي ألا أقول ذلك لأحد!

[كاقالا]

وفي الليل الدميس يجلس رجل في غرفة مظلمة مكبل اليدين والقدمين يتمتم ببعض الكلمات:

أخرجوني من هنا فأنا أخاف من الظلام ،أخرجني أيها الرئيس تليد!

وظل يكرر تلك الكلمات حتى سمعه تليد وهو بمكتبه يشرب اللبن البارد الشهي فوضع الوعاء أمامه وأخذ شعلة النار وذهب نحوه ولما دخل علق الشعلة على الحائط على مسمار ووقف عند رأس الرجل وقال له:

ما اسمك يا هذا؟

الرجل:

مراد!

تليد:

جميل،قل لي يا مراد أين عيذون؟!

فضحك مراد ثم قال:

نكل بكم ثم رحل أيها الحمقى السذج!

فابتسم تليد ثم قال:

يبدو عليك أنك ستجعل هذه الليلة تمر بشق الأنفس!

ودخل أركان ومعه شعلة هو الآخر وقام بتعليقها على الحائط ثم سأل تليد:

سيدي،هل تكلم هذا الكلب؟

تليد:

لا!

فجاء نحوه وجعله يجلس ومسك ذراعه اليمنى ثم طلب من تليد إعطاءه مفتاح القيود وفك قيد ذراعه ووضع ركبته تحت كتفه ثم سحب ذراعه نحوه ليسمع جميع من في الغرفة صوت تهشم عظام الكتف فصرخ الرجل وأركان مستمر في الضغط وهو يقول له:

"كونوووش" أي تكلم بالتركية!

فقال الرجل الذي يدعى مراد:

سيذهب عيذون نحو بيت الرئيس تليد الذي في اسطنبول ويختطف زوجتك وابنك!

فسار تليد نحوه ومسكه من مخنقه وقال له:

ماذا تقول يا هذا ؟

مراد:

سيعرفك السيد عيذون على الجحيم في الأرض!

فضربه أركان على رأسه فسقط على الأرض ثانية ثم وجه نظره نحو تليد وقال:

ما العمل يا سيدي ؟

تليد:

سأذهب فوراً إلى اسطنبول!

أركان:

سآتي معك!

تليد:

لا بل ستبقى هنا لكي تهتم بالأهالي،لقد ارسلت كنان إليهما لكي يحضرهما ولكن بالتأكيد أنه يتعرض الآن للهجوم وسآخذ ديلكان معي!

فخرج تليد من الغرفة وذهب نحو اسطبل الخيول وامتطى حصانه وذهب لكي يمر على ديلكان في بيته ويأخذه معه ولكنه تفاجىء به يأتي نحو القسم فقال له تليد:

استعد يا ديلكان!

ديلكان:

عساه خيراً يا سيدي ؟

تليد:

عيذون يهاجم بيتي الذي في اسطنبول هيا لا وقت لدينا!

ديلكان:

حسناً!

وانطلقا قاصدين اسطنبول التي تبعد عن كافالا حوالي ٥ أميال!

[بيت تليد في اسطنبول]

وفي بيت تليد في اسطنبول المكون من طابقين ويحوطه الأسوار الخشبية على شكل دائري ،يقود كنان جماعة من الجند الذين تمركزوا وراء الأسوار الخشبية يتحصنون بألواح خشبية كبيرة وسميكة يتبادلون مع رجال عيذون ضرب النار وكنان يحمل مسدسين ويضرب بهما ،لقد حمى الوطيس واقتحم الرجال الأسوار الخشبية ودخلوا وصار كنان يحصدهم حصداً حتى فرغا السلاحان من الرصاص فرماهما على الفور واستل سيفه في يمناه وخنجره في يسراه وهم عليهم حتى قضى على الذين دخلوا البيت وجاء واحد منهما ليغدر به من الخلف ولكنه بودر بطلقة في رأسه أسقطته أرضاً فنظر كنان فوجده الرئيس تليد فركض نحوه وقال له:

سيدي إن رجال عيذون ينهالون علينا من كل مكان ماذا سنفعل يا سيدي ؟

تليد:

سنقاوم يا كنان ما عسانا أن نفعل؟

ثم صرخ في الجند مهيجاً لهم على القتال:

لقد ادركتكم يا أسودي فلتقاوموا!

ثم نظر نحو كنان وقال:

لقم أسلحتك يا كنان هيا لنلقنهم درساً هؤلاء السفلة!

وبالفعل التقط كنان سلاحيه وقام بتلقيمهما وأخذ يضرب جنباً إلى جنب مع رئيسه تليد وبعد قتال شديد أنهوا عليهم وفر القليل منهم فأشار تليد إلى كنان أن يلحق بهم معه فذهبا خلفهم وأطلقوا عليهم النيران وحينما وصلا إلى صخرة كانت في الافق وجدا مجموعة من الرجال ولكنهم بلا طبنجات ،إنهم أربعة وحاول كنان أن يطلق ولكن نفدت طلقاته وكذلك تليد وعندها تيقن كل من تليد وكنان أنه لا مفر من القتال بدون أسلحة وشمر تليد ذراعه فهجم عليه واحد منهم وبادره بلكمة ولكنه تفاداها وضربه في القصبة الهوائية سقط في الحال وكذلك جاء الآخر فوضع أصابعه في عينيه ثم التف حوله وقام بكسر رقبته ثم نظر إلى كنان فوجد الإثنين يمسكانه وينهالان عليه ضربا فمسك بيده حجارة وضرب أحدهما بها على رأسه فسقط في الحال ورماها على وجه الآخر فمسك وجهه ألماً وعاجله تليد بركلة في خصيته ثم كسر رقبته فخر على الأرض!

وقام تليد بحمل كنان من على الأرض وسار به نحو البيت لكي يضمد جراحه ويسليه بأنهما قد انتصرا على عيذون ورجاله وفجأة جاءت طلقة من الخلف استقرت في جمجمة كنان ليسقط أرضاً وتليد لا يصدق ما يحدث لينظر خلفه ويجد عيذون هو من أطلق الرصاصة وقتل كنان وكان حوله رجاله المدججون بالأسلحة ليترك تليد كنان يسقط وقد نزف الدم من رأسه معلناً بذلك وداعه للحياة،فجلس تليد على الأرض وكنان بين يديه يحتضنه مرة ويزرف عليه الدموع ثانية حتى أمر عيذون أحد رجاله بأن يمسك بتليد لاصطحابه معه نحو بيته لكي يُقتل هناك هكذا قال عيذون!

وحينما جاء رجال عيذون بتليد ودخلوا البيت ورأى تليد أن جنوده قد قُتلوا وفي حديقة البيت يشير عيذون إلى رجاله أن يجعلوا تليد يجثو على ركبتيه بإيماءة من يده على ركبتيه ففعلوا ذلك وأشعل(قيب)ثم قال لتليد:

تريد الإيقاع بي أيها الرئيس تليد؟

ثم ضحك وأخذ نفس من القيب ثم أتبع:

أنت لا تستطيع أن تنل من شعر لحيتي حتى!

فبصق تليد الدم الذي في فمه ثم قال:

حتى وإن قتلتني اليوم فرجالي سيهشمون رأسك اللعين هذا!

ليضحك عيذون كالثعلب النتن ثم يقول:

رجالك؟حسناً فلتأت أيها الباشا!

فيأتي رجل من خلف تليد يرتدي البذلة العسكرية الزرقاء إنه ديلكان ويقف أمام تليد وحينما رآه تليد قال:

أيها الخائن عديم الأصل!

ليلكمه ديلكان قائلاً:

اصمت!

عيذون:

أين ابنه وزوجته؟

تليد مستعطفاً إياه:

لا تفعل يا عيذون ،حباً في الله لا تفعل!

وأثناء حوارهما يهرول رجل من رجال عيذون نحوه ثم يقول:

سيدي لقد هربا!

عيذون:

اذهبوا خلفهما وأطلقوا النار!

يدوي صوت الرصاص في الوسط وتليد يصرخ:

هذا لا يحدث ،(بانيم إڤلاديم)أي ابني،(بانيم كادينيم)أي زوجتي!

وكانا يركبان الحصان والإبن في الأمام والأم خلفه فأتتها طلقة في ظهرها سقطت على إثرها على الأرض فيصرخ الفتى:

(أنـاااااا)أي أمـاااااه!

وبعدما سقطت قالت الأم لولدها:

نم على ظهر الحصان يا بني ولا ترفع رأسك!

ففعل ذلك وتفادى بتلك الفعلة الرصاص وجرى الحصان بعيداً وسمع بعد ذلك صوت طلقة فتيقن أنها استقرت في أبيه فبكى ثم نام على الحصان واستمر الحصان نحو قرية رامي!

[قبيلة بني كاسب]

بعد مرور ٧ سنوات تجري أسما خلف طفل صغير:

توقف يا محمد لقد أتعبتني يا يُني!

ليتفاجىء محمد الصغير بالسيد محمد يقف أمامه ويحمله على كتفه قائلاً:

لمَ كل هذا الضجيج أيها الصغير؟!

محمد:

أريد أن أري أبي لقد مر شهر ولم يأت بعد ،أين هو؟

وكان علي يحارب قطاع الطرق الذين تسلطوا على الدولة وحينما انتهوا من القضاء على قطاع الطرق ظهر رجل لا يعرفه كان يحارب معه فسأله علي:

من أنت أيها الشجاع؟

الرجل:

أنا اسمي زكي عرفان أرسلان!

فتغير شكل حاجبيه وتقوس ثم قال:

أنت تركي ؟

زكي:

نعم يا سيدي!

علي:

حسناً إذاً،وماذا رمى بك إلى هنا؟

ليجفف زكي الدم الموجود على سيفه على جسد أحد القتلى ثم وضعه في غمده وقال:

لقد كنت أعمل عند رجل ظالم قاتل لا يُخلع من قدمك،وشهدت معه كل حملاته كان يهددني بعائلتي وفي حملة من الحملات رفضت أن أكون معه فقام بقتل عائلتي!

علي:

ما اسمه ذاك الكلب؟

زكي:

عيذون!

فجحظت عيناه حينما سمع اسم عيذون ثم قال لزكي:

قلت عيذون ها؟

زكي:

نعم،هل تعرفه؟

علي:

نعم أعرفه، هذا الكلب تسلط على وطني!

زكي:

يبدو أننا سنصبح أصدقاء أيها السيد علي

فابتسم علي ثم مسك ذراعه الأيمن وقال:

قل لي يا زكي على من كانت الحملة التي تركت بها عيذون؟

زكي:

على الرئيس تليد حاكم كافالا،لقد قتله هو وزوجته وابنه ...!

علي:

ابنه ماذا ؟

زكي:

لقد نجا وهرب وهو ابن عشر سنوات!

علي:

حسناً ستأتي معنا الآن وبعد ذلك سننزل على عيذون أعتى الضربات!

[قرية رامي]

في ليلة من الليالي يعلو صوت إطلاق النار في القرية وكان هناك شاب يجلس أمام بيته يقرأ كتاب وعندما سمع صوت الرصاص ركض خارج البيت فوجد أربعة من الجند يضربون النار على أشخاص داخل السوق الصغير للقرية فذهب نحوهم ليجد أحدهم أُردي قتيلاً تاركاً طبنجته فالتقطها وبدأ في ضرب الرجال الخارجين عن القانون وفي أثناء ضربه للصوص فاجئه أحدهم بأنه جاء من الجنب ولكن الشاب فطن لذلك الأمر وبادره بطلقة استقرت في نصف رأسه وركض سريعاً نحو الذي قُتل وأخذ سلاحه ثم تسلق جدران السوق وأخذ يطلق النار على اللصوص من فوق وحصدهم

حصداً وبعد ذلك دخل الجنود وقضوا على من بقى منهم ونادى الجندي على الشاب وقال له:

انزل أيها البطل!

لينزل الشاب بعدما قفز من الأعلى على أرضية السوق فسلم عليه الجنود وسأله أحدهم:

قل لنا من أنت أيها الشاب؟

الشاب:

أنا كونور ابن الرئيس تليد!

نعم لقد نجا كونور ابن تليد من عيذون ورجاله واستقر الحصان عند قرية رامي فعرفه أحد التجار الذين يعرفون أباه وعرف ما قد حدث لأبيه وأمه وقام بالإعتناء به وها هو ذا ينقذ القرية ويساعد الجنود في القضاء على اللصوص!

(مكان متطرف في رامي)

يركض رجل وكان بانتظاره رجل آخر ووصل إليه فقال له المنتظر:

ماذا حدث يا أخي؟

ليرد عليه:

تجارتنا ستصبح مستحيلة في رامي بعد الآن يجب أن يعلم عيذون بذلك!

[قبيلة بني كاسب]

وبعد مرور عدة أيام يجلس علي على فراشه في خيمته وأسما كانت بجواره تخيط بعض ملابس محمد ابنهما وعلي عقله شريد يفكر في كيفية الإيقاع بعيذون لتلاحظ أسما ذلك فسألته:

ما بك يا أبا محمد،ما لي أراك شريد الذهن هكذا؟

علي:

لقد طغى عيذون واستفحل أمره يا أسما!

أسما:

ماذا فعل ثانية يا علي؟

علي:

لقد فرط بعائلات كاملة بسبب كبره وأطماعه التي لا حدود لها!

وفجأة ينادي عليه عمر:

هل تسمح لي يا سيدي!

علي:

سأخرج لك الآن يا عمر!

وقام علي من على فراشه وخرج من الخيمة وقابل عمر ومشى معه في أنحاء القبيلة وقال له عمر:

سيدي!

علي:

ها ؟

عمر:

لقد جاء رجل إلى القبيلة يُدعى زكي عرفان أرسلان وأراد مقابلتك!

فاستوقفه الإسم ثم قال:

من ؟

عمر:

زكي عرفان أرسلان يا سيدي!

علي:

أين هو الآن؟

فأجابه عمر باسماً:

إنه في ميدان التدريب يا سيدي!

علي:

حسناً هيا لنذهب إذاً!

وذهبا نحو ميدان التدريب ليقابلا زكي!

وحينما وصلا وجدا زكي يجلس على صخرة منتظراً علي فرحب به علي:

حللت أهلاً ووطأت سهلاً يا زكي!

زكي:

أهلاً بك يا سيدي!

علي:

هل توجد أخبار عن عيذون؟

زكي:

لقد أرسل عيذون رجاله إلى قرية رامي بالقرب من اسطنبول وأقسم على أن يحرق القرية عن بكرة أبيها بعد الذي فعله ذلك الشاب!

علي:

أي شاب هذا؟

زكي:

كونور ابن الرئيس تليد يا سيدي!

علي متعجباً:

وماذا فعل لكي يثير حفيظة هذا الكلب هكذا؟

زكي:

سأحكي لك يا سيدي!

[قرية رامي]

يتعرض سنان باشا حاكم رامي للهجوم من قبل رجال عيذون الذين أتوا من كل حدب وصوب وكان سنان باشا يمسك طبنجته وبدأ في رد العدوان عنه !

وفي بيت كونور يقتحم ثلاثة من الرجال غرفة كونور ففزع منهم وبدون أي مقدمات ضربه أحدهم على رأسه فسقط فاقداً الوعي ثم حمله أحد الثلاثة وهو ضخم البنية وخرجوا به من البيت!

[كافالا]

وبعد ساعتين في بيت عيذون بكافالا يجلس عيذون على المائدة وأمامه طبق من الأرز يأكل منه وأمامه في الكرسي المقابل كونور فاقد الوعي وأمامه طبق من الأرز أيضاً وفجأة يبدأ كونور بفتح عينيه تدريجياً ليجد عيذون يأكل فقال له:

من أنت؟

عيذون:

أنا من قتلت أباك وأمك وقمت باختطافك الآن،مرحباً بك يا كونور في بيتي المتواضع!

كونور ثائراً:

وماذا تريد مني الآن أيها الكلب عديم الأصل؟

عيذون غاضباً:

لا تختبر صبري يا كونور!

كونور:

لم أتعجب فأنت مجرم تقتل الأبرياء بدم بارد!

عيذون:

أنا مجرم؟حسناً وماذا إن سمعت حكايتي؟!

كونور:

لا داعي لدي لذلك ولكن احكِ فأنا كلي آذان صاغية!

عيذون:

منذ ثلاثين سنة أحببت فتاة في مثل عمري وكان بين عائلتي وعائلتها العديد من المشكلات فأبى أبي أن أتزوجها وحذرني وأنذرني أن أكلمها مرة أخرى ولكن القلب ليس بيدي وقابلتها وقررنا أن نهرب ونتزوج ليقوم أحد رجال أبي بالوشاية علينا عند أبي فقام أبي بحبسي وتعذيبي لكي أرجع عما في رأسي ولكني أبيت إلا أن أتزوج حبيبتي وبعد عدة أيام سمعت خبر وفاتها لقد ماتت غيظاً لأن أباها هو الآخر حبسها عني وفي هذا اليوم شربت أي مسكر يأتي أمامي حتى لما رجعت إلى البيت لقيني أبي على تلك الحالة فجذبني فشم رائحة فمي فوجدها كريهة فانهال علي يصفعني ويلكمني فدفعته دفعة قوية فاجتاز السيخ الحديد المثبت في الحائط لكي نعلق عليه ملابسنا ظهره وخرج من صدره،أنا قاتل أبي!

كونور:

وما ذنب كل هؤلاء الأبرياء؟

عيذون:

لا أحد يقف أمامي فلتعلم ذلك جيداً!

كونور:

حتى الأبرياء؟

عيذون غاضباً:

حتى أبي،لو وقف أمامي سأسحقه وأمر!

[عند مدخل كافالا]

يقف أربعة على الخيول وهم علي وزكي وعمر وسعد ووجه زكي كلامه لعلي:

سيدي إن عيذون يحتفظ بكونور في بيته هذا (أشار إلى بيت عيذون)فهل سنهجم الآن أم عند الغروب؟!

علي:

سنهجم عند الغروب ونحرر كونور ونقتل عيذون!

وفي شرفة بيته ينظر عيذون نحو الأربعة ويدقق النظر فيهم حينما قدموا بالقرب من البيت ليتحقق من هويتهم ويتعرف على علي ثم قال محدثاً نفسه:

لقد دخلت في وكري يا علي ،عهدا علي سأكتب بدمك نهايتك على جدران كافالا،جئتم لتنقذوا ابن تليد ها؟فلتأخذوه إذاً!

ثم نادى على باران:

باران!

ليدخل باران :

مرني يا سيدي!

عيذون:

أتعلم مكان بيت زكي عرفان أرسلان يا باران؟

باران:

نعم يا سيدي ،لقد عفوت عنه وأخليت سبيله!

عيذون بعدما وضع راحة يده على كتفه:

اذهب أنت وسليمان وخذا معكما عشرة من الرجال ولتأتوا بكل الموجودين في البيت!

باران:

عُلم ويُنفذ يا سيدي!

[بيت زكي عرفان أرسلان]

وهذا البيت بجانب سوق كافالا والأربعة يخرجون من البيت قاصدين القهوة التي أمام البيت فجلسوا وطلبوا الشاي بالنعناع وفي أثناء إستمتاعهم بشرب الشاي لمح زكي باران وسليمان قادمين وخلفهم الرجال ،فصاح بهم زكي:

سيدي ،إخوتي لقد جاء جاء باران رجل عيذون!

علي:

فلتفترقوا داخل السوق يا إخوة ،هيا!

عمر: وماذا عنك يا سيدي؟

علي:

اذهب الآن يا عمر،أريدكم أن تشتتوهم!

فذهب زكي وعمر وسعد وما إن اقترب رجال عيذون ركضوا جميعا في السوق فركض باران خلفهم ومعه جُل الرجال وذهب سليمان ومعه ورجلان إلى القهوة فعلم علي أنه من كان يعذبه في الجبل!

جاء سليمان لرجل كان يجلس على القهوة (المقهى)وسأله:

هل رأيت هؤلاء الرجال الذين فروا منذ قليل قبل ذلك؟

الرجل:

أعرف زكي عرفان أرسلان فقط!

وارتشف علي رشفة من شايه ثم قال:

لكني أعلم من كانا معه جيداً!

وما إن نظر سليمان نحو علي حتى تفاجىء به ولم يحرك ساكناً بل جحظت عيناه فقط وراقب الرصاص الذي انهال على أقدام الرجلين الذين كانا معه فسقطا على الأرض ورماه علي بالشاي الحار في وجهه أعماه وضربه بمجمع يده أسفل ذقنه وعلى وجه السرعة قام بركل الطبنجات بعيدا عن الرجلين !

وقام بسحب السيف من على خصره وضربه خلف قدمه فسقط على الأرض!

وجاء من السوق زكي وعمر وسعد ومعهم باران يسحبه عمر تحت إبطه!

زكي:

سيدي لقد قضينا عليهم جميعاً بمساعدة الأهالي وأبقينا على هذا إنه باران ذراع عيذون اليمين!

علي:

إذا كان هذا ذراع عيذون فوجب علي أن أقطعه!

باران والدم يسيل من وجهه:

راعي الغنم!

ثم أتبع تلك الجملة ضحكات متقطعه ليرد عليه علي:

راعي الغنم سيضحي الآن بالضأن وإن لم أقض على الكلب صاحبك فلم ينادونني بالسيد علي!

وقام بوضع الكرسي في المنتصف ووضع رأس باران عليه وضرب عنقه وسقط رأسه وسال دمه!

والتف الناس حول علي وهتفوا باسمه:

عش مديدا يا سيد علي ،فليحيا السيد علي!

[بيت عيذون]

يركض رجل نحو غرفة عيذون ويطرق الباب بلهفة!

عيذون:

تعال!

يدخل الرجل فسأله عيذون:

ماذا يحدث؟!

الرجل:

زكي عرفان أرسلان!

عيذون:

ماذا فعل؟

الرجل:

لقد قضى على باران وبقية الرجال يا سيدي!

ليقف عيذون وكل هذا كان على مسمع من كونور فضحك كونور وقال لعيذون:

من الواضح أن نهايتك قد اقتربت أيها الكلب عديم الأصل!

فصفعه عيذون:

اخرس أيها الوغد!

ثم وجه كلامه نحو الرجل:

وأين هم الآن يا هذا؟

الرجل:

عند السوق يا سيدي وجدتهم يدخلون السوق ومعهم سليمان!

عيذون:

حسناً اجمع كل الرجال واتبعونني،هيا سأروي أرض كافالا بدماء هؤلاء السفلة!

وسار عيذون على رأس الرجال متوجها إلى السوق ففوجىء بأهالي كافالا يقفون في السوق وكل واحد منهم يحمل عصا سميكة

وما إن جاء عيذون ورجاله حتى هجموا عليهم ورموهم بالحجارة وكان بينهم علي فلمح عيذون يهرب فركض خلفه وقال لعمر:

لا ترفع عينيك عن ابن آوى هذا (قاصداً سليمان)!

عمر:

أمرك يا سيدي!

وأكمل علي ركضه نحو عيذون وتجرد من السيف لكي يسرع في الركض وكذلك رمى الطبنجة واستمر في الركض حتى أصبح بينه وبين عيذون مسافة قريبة أخرج خنجره ورماه على فخذه الأيمن فسقط أرضاً وأثناء رقوده على الأرض ظل يضرب بالطبنجة تجاه علي ولكن علي تفادى الرصاص!

ووصل علي عند عيذون الجريح فركل يده التي تحمل الطبنجة حتى سقطت من يده ومسكه من ياقته ثم انهال عليه ضرباً:

هذه من أجل زوجة أخي!

قالها بعد أن لكمه في وجهه!

ثم لكمه الثانية وقال:

وهذه من أجل تعذيبك لي!

ثم جعله يقف على قدميه وبحركة سريعة يخرج عيذون من جرابه الخنجر ويقوم بضرب علي ويجرحه في كتفه الايسر ولكن علي اخذ الخنجر واودعه في قلبه ثم سار بعض الخطوات والتقط الطبنجه وقام بتفجير راس عيذون!

ثم قال:

فلتذهب إلى الجحيم يا ابن آوى!

وبعد ذلك ذهب كونور والأهالي نحو القسم وأخرجوا ديلكان وأعدموه وأطلقوا سراح الضابط أركان الذي حبسه ديلكان بأمر من عيذون!

[قبيلة بني كاسب]

وبعد مرور شهر يدخل التاجر جلال الدين مع قافلته المحملة بالحرير والأقمشة الجميلة إلى القبيلة ويستقبله علي وحبيب!

علي: أهلاً وسهلاً بك يا سيد جلال الدين!

حبيب:حللت أهلاً ووطأت سهلاً يا سيد جلال الدين!

جلال الدين:

أهلاً وسهلاً بكما أيها السيدان،لقد جئتكم ببضاعة من المحروسة ،حاجة إنما ايه عسل!

يضحك علي ثم يقول:

يا لها من لهجة جميلة تلك اللهجة المصرية!

جلال الدين:

معلوم يا علي بيه ،انا نفسي تيجي المحروسة وهتشوف هنرحب بيك ازاي ؟!

علي باسماً:

ذات يوم إن شاء الله يا سيد جلال الدين!

وذهب علي نحو خيمته وظل حبيب مع جلال الدين!

حبيب:

هل أحضرت ما طلبته منك يا سيد جلال الدين ؟!

جلال الدين:

طبعاً يا حبيب بيه!

وأخرج جلال الدين من إحدى العربات صندوقاً خشبياً به زجاجات من الخمر وأعطاه لحبيب ثم قال:

أهم حاجة أخوك وأبوك ميعرفوش حاجة بخصوص الحاجة دي ها!

حبيب:

لا تقلق يا سيد جلال الدين،أتريد المال؟

لينظر جلال الدين إلى حبيب ثم يردف نظراته بنظرات إلى الأرض قائلاً:

لا مش عاوز بالهنا والشفا!

وذهب حبيب إلى خيمته بالصندوق وترك خلفه جلال الدين ينظر إليه بحنق شديد ثم يقول:

حار ونار في جتة أمك!

وفي خيمة علي تجلس أسما أمام الموقد تقلب الماء واللحم في حلة كبيرة وتغني:

خيمتي الصغيرة

ذي الروح الجميلة

ابني وبعلي

محمد وعلي

أطهو الطعام

لكي يحلو الكلام

علي باسماً:

يا لها من أغنية جميلة يا أسما!

أسما:

لكنك أجمل يا علي!

علي:

فلتقولي لي إذاً يا من أفديها ما بك؟

أسما متصنعة الإستغراب:

ما بي يا سيدي فأنا بخير ولله الحمد والمنة!

علي:

ألم أعرفك يا ابنة السيد؟!لا تجعليني أكرر سؤالي يا أسما!

أسما باكية:

فاطمة ابنة عمتك يا علي!

علي:

ماذا فعلت فاطمة؟!

أسما:

لقد جاءت هنا يوم أمس وقالت كلام أكره سماعه!

تقوس حاجبي علي ثم قال:

ماذا قالت يا أسما!

أسما:

أنها هي من تحبك وأنا من خطفتك منها!

ليقهقه علي ثم يقول:

خطفتني؟ يا لها من فتاة مضحكة للغاية!

أسما:

هل تحبها حقاً يا علي؟

علي:

لم أحب غيرك يا أسما ولكن!

أسما:

لكن ماذا ؟

علي:

أبي السيد محمد كان يريد تزويجي بها وكان هذا قبل أن أراكِ ولكن حينما ظهرتِ أنتِ في حياتي فجأة استوقفني السيد محمود وطلب مني صرف النظر عن تلك الزيجة فسألته عن السبب فقال أن ابنته لم تعد تريدني كزوج!

أسما:

إذاً لم تقول هذا الكلام ؟!

علي:

هذا ما سوف أعرفه منها الآن!

وخرج علي من الخيمة قاصداً خيمة السيادة الكبرى التي يسكنها السيد محمود وأبنائه وزوجته وقبل أن يدخل إلى الخيمة وجد فاطمة تشرع للدخول هي أيضاً فنادى عليها علي:

فاطمة!

لتتوقف فاطمة وقالت له:

نعم!

علي:

ما هذا الكلام الذي قلته لأسما؟!

فاطمة:

أقالت لك؟

علي غاضباً:

نعم،ماذا تريدين بذاك الكلام يا ابنة العمة؟!

فاطمة:

ماذا حدث؟ لقد كنا سنتزوج يا علي!

علي ضاحكا:

ألم ترفضينني؟!

فاطمة:

لا ،لم أفعل!

علي:

لقد قال لي أبوك ذلك الكلام!

فاطمة:

ولكني لم أقل هذا أبداً!

علي:

هذا الأمر لا يعنيني فأنا لن أسمح لأي أحد أن ينغص على أحبابي عيشهم!

ثم ذهب وتركها ودخل خيمته وهي دخلت خيمتها وقالت قبل أن تدخل:

هل تسمح لي يا أبتي؟!

السيد محمود:

تعالي يا ابنتي!

لتدخل فاطمة وهي ثائرة قائلة:

ما الذي فعلته يا أبي!

السيد محمود:

ماذا فعلت يا فاطمة؟

فاطمة:

هل أنا قلت لك أني لا أريد الزواج من علي؟

السيد محمود:

لا!

فاطمة:

إذاً فلماذا قلت ذلك لعلي؟

السيد محمود:

اجلسي لكي أقل لكِ!

فجلست فاطمة حذاء والدها فقال لها والدها:

لقد علمتِ ما حدث لعلي على يد عيذون وعودته للقبيلة في تلك الحالة!

فاطمة:

ثم ماذا ؟

السيد محمود:

لقد خفت عليكِ من أن تُكسر نفسك حينما ترينه بتلك الحالة وقلت أنه لا يصلح لأن يصبح زوج ابنتي!

فاطمة:

لقد كُسرت نفسي بالفعل يا أبي وأنت من كسرتها!

السيد محمود:

ما فعلته هو الصواب يا فاطمة!

فاطمة ثائرة:

لقد اختل ميزان تقديرك يا أبي!

ذهب السيد محمد نحو خيمة ابنه حبيب وعند باب الخيمة نادى السيد محمد على ابنه:

حبيب!

ليرد حبيب الذي ارتبك وترك زجاجة الخمر ووضعها في الصندوق:

تعال يا أبي!

يدخل السيد محمد ويقول:

لماذا تأخرت في الإجابة يا بُني؟

حبيب:

لقد كنت أوضب الخيمة يا سيدي!

السيد محمد:

حسناً،هل تريد الزواج يا حبيب ؟!

حبيب باسماً:

أومثلي يعمر في زيجة يا أبي؟!

السيد محمد:

لم هذا الكلام يا بُني،فلتشر على أي فتاة فسوف أزوجك منها على الفور!

حبيب:

دعك من تلك المسألة الآن يا أبي!

وفي مكان بالقرب من قبيلة بني كاسب يقف رجل ممتط لجواده وخلفه رجل يقود عربة بها صناديق مغلقة ومغطاة بالقماش!

أحدهم:

هل سندخل القبيلة الآن يا سيد بهادير؟

ينهره بشده الرجل الآخر قائلا:

يا هذا اسمي السيد موسى تاجر الفاكهة القادم من المغرب وأنت حامد مساعدي،يجب أن نركز يا جوكمان!

جوكمان:

حسناً يا سيدي!

بهادير؛

هيا لنذهب الآن!

وحينما وصلا إلى القبيلة استوقفهما حارس البوابة المناوب قائلاً:

من أنتما؟

بهادير:

أنا السيد موسى جئت من المغرب وأردت أن أتاجر ببضاعتي هنا وهذا مساعدي حامد!

الحارس:

حسناً فلتأتي معي لكي تقابل السيد علي!

بهادير:

حسناً يا سيدي!

فذهب الحارس ببهادير وترك جوكمان عند البوابة نحو علي لكي يره ويحدد ما إن يبقى ويتاجر أو يرحل ويهاجر وكان علي يتجول في القبيلة يتفقد أحوال الناس فقدم عليه الحارس!

الحارس:

السلام عليكم يا سيدي!

علي:

وعليكم السلام من هذا (وأشار إلى بهادير)يا سليم؟!

سليم:

إنه السيد موسى من المغرب جاء ليطلب منك الإذن في أن يتاجر هنا في القبيلة!

وجه علي نظره نحو بهادير ثم ابتسم قائلاً له:

أهلاً بك يا سيد موسى!

بهادير:

أهلاً بك يا سيد علي!

علي:

قل لي إذاً بماذا سوف تتاجر ؟!

بهادير:

سيدي لقد ارتحلت إلى عدة بلدان وأحضرت أفضل أنواع الفواكه لكي أعصرها وأبيع عصيرها!

علي:

جميل ،جيد إذاً فلتحدد للسيد موسى مكاناً يبيع فيه بضاعته يا سليم!

بهادير:

فلتسلم يا سيدي!

فضرب بيده على ذراعه الأيسر جابراً لخاطره ثم ذهب!

وفي دكان جلال الدين يقف جلال الدين يبيع ويتعامل مع أحد الزبائن!

الزبون:

بكم هذه القطعة يا سيد جلال الدين ؟!

جلال الدين باسما:

ب٥ ذهبيات يا سيدي!

الزبون:

لم أسعار بضاعتك باهظة هكذا ؟

جلال الدين:

بكم تريدها إذاً؟!

٣ ذهبيات ونصف ذهبية!

يضحك جلال الدين ثم يقول:

حسناً نقسم البلد نصين سأبيع لك تلك القطعة مقابل ٤ ذهبيات،ها قلت ايه؟!

الزبون:

حسناً يا سيد جلال الدين!

جلال الدين:

تفضل يا سيدي!

وحينما أعطى الرجل قطعة القماش وأخذ منه المال وذهب الرجل في طريقه تمتم قائلاً:

ربنا يتوب علينا بقى من العالم دي!

ولمح جلال الدين علياً قادماً عليه فانهال عليه بالترحاب:

أنرت دكاني يا سيدي، مرحباً بك يا سيد علي!

علي ضاحكاً:

دعك من التملق هذا يا جلال الدين،وقل لي هل عندك حرير باللون الأبيض؟!

جلال الدين:

بالطبع يا سيدي أتريد قطعة كبيرة أم صغيرة؟

علي:

تكون كافية لتفصيل جلباب!

جلال الدين:

حسناً يا سيدي سأجلب لك ما تريد!

علي:

حسناً قل لي يا جلال الدين كم تريد مقابل هذا ؟

جلال الدين:

خلي علينا خالص!

علي:

انجز ،كما تقولون في مصر!

جلال الدين ضاحكاً:

٢٠ ذهبية يا علي بيه!

علي:

هل هذا ثمن القطعة الحقيقي يا جلال الدين ؟

جلال الدين:

بصراحة لا لكن حبيت أعمل لك تخفيض!

علي باسماً:

كم الثمن يا جلال الدين ؟

جلال الدين:

٢٥ ذهبية يا علي بيه!

يخرج علي من جيبه كيس مليء بالنقود ويخرج منه ٢٥ ذهبية ويعطيهن لجلال الدين!

جلال الدين:

تفضل يا سيدي!

وبعدما ذهب علي قال جلال الدين محدثاً نفسه:

راجل جدع وابن أبوه!

وبعد مرور يومين اعتاد الناس على الشراء من بهادير ودخل عليه مساعده جوكمان في الدكان:

سيدي لقد علمت عن علي عدة معلومات!

بهادير:

فلتقل إذاً!

جوكمان:

متزوج ولديه ولد وحيد اسمه محمد!

بهادير:

ثم ماذا ؟

جوكمان:

متزوج من أسما ابنة السيد إدريس سيد بني حمدان ،يحبها وتحبه!

بهادير:

هل لديه إخوان؟

جوكمان:

نعم يا سيدي لديه أخ اسمه حبيب يكبره بعامين!

وكان دكان بهادير بجوار دكان جلال الدين وكان مع جلال الدين في ذلك الوقت حبيب فسمع بهادير أن جلال الدين يتحدث مع شخص ما فاسترق السمع:

جلال الدين:

لا يا سيد حبيب لا تطلب مني هذا الطلب حتى أنني لست أملك كل هذا العدد من الخمر!

حبيب بلكنة شديدة:

اسمعني أيها القذر افعل ما آمرك به وإلا سوف أحرق لك دكانك هذا وأطيح بك من القبيلة!

جلال الدين:

حسناً يا سيدي!

فنظر بهادير إلى جوكمان وقال:

إذاً لقد جمعنا المعلومات الأولية لنا في تلك الأرض وفي وقت قياسي!

جوكمان:

أجل يا سيدي ،من أين سنبدأ إذاً!

بهادير:

من عند حبيب ذلك السكير العفن!

وفي خيمة علي يجلس علي يقرأ كتاب الله العزيز تقدم عليه أسما فيغلق علي المصحف ثم يقول لها:

ما لي أراكِ مبتسمة هكذا يا روح الروح؟!

أسما ضاحكة:

قل لي أنت ما الذي يجعلني أفرح هكذا ؟!

علي:

حقيقة لا أدري فلتقولي لي إذاً ،أم أنكِ؟!

اتسعت حدقتا عيني أسما وابتسمت ابتسامة حولت لون وجنتيها من الابيض إلى الأحمر ثم قالت:

نعم أنا حبلى يا علي!

فظهر الفرح على وجهه ثم هلل بصوت عالٍ:

الله أكبر ،الله أكبر ،الله أكبر!

ثم احتضنها وقام بالالتفاف بها فرحاً بهذا الخبر!

ليدخل محمد ابنهما ويسأل والده:

أبي هل يوم غد العيد؟

علي متعجباً:

لماذا يا محمد ؟

محمد:

لأني سمعتك تكبر مثل تكبيرات العيد!

فضحك الجميع وحمل علي ابنه وقال له:

تعال لنرى إن أمك حامل بأخ أو أخت لك يا محمد!

محمد:

وأين سيأتي ؟

أسما:

بعد عدة شهور يا بُني!

[اسطنبول]

وأمام بيت تليد يقف رجل يرتدي معطف قماشي فضي اللون على بنطال قماشي أسود وسترة بيضاء ،ملثم يدخل البيت إنه تليد!

[كاڤالا]

وفي قسم الشرطة يدخل كونور على اركان في مكتبه بعد أن طرق الباب وأذن له أركان بالدخول !

أركان:

كيف أجدك يا كونور؟

كونور:

الحمدلله يا سيد أركان!

أركان:

حسناً ماذا تريد ؟

كونور:

سيدي أريد أن أذهب إلى بيتنا في اسطنبول!

أركان:

حسناً فلتذهب يا كونور!

فخرج كونور واتجه إلى اسطبل الخيول وأخذ حصاناً وانطلق نحو اسطنبول وأثناء سيره قابل أحد الجنود فقال له:

أخي،ماذا فعلت في موضوع بهادير؟

الجندي:

لقد علمت أن بهادير ذهب وراء السيد علي الذي قضى على عيذون إلى قبيلته!

كونور:

ماذا ؟

الجندي:

ما سمعته يا كونور لقد ذهب لينتقم لأخيه عيذون من السيد علي!

كونور:

حسناً!

ثم يكمل طريقه نحو اسطنبول وحينما وصل إلى البيت كان تليد هناك يجلس على مكتبه فسمع صوت فتح باب البيت فسحب سيفه المعلق على الحائط واختبىء وراء باب الغرفة وكونور يطلع على السلم ولما وصل إلى غرفة أبيه ودلفها وجد تليد يسحبه ويضع سيفه على رقبته قائلاً له:

من أنت يا هذا ؟!

ليدقق كونور في ملامحه ويرد:

(بابا)أي أبي!

تليد:

ماذا قلت؟

كونور:

أنت ابي السيد تليد!

تليد وعيناه مغرورقتان بالدموع:

كونور!

فقام برمي السيف جانباً ثم احتضن ابنه وقال له:

كونور لقد اشتقت إليك كثيراً يا بُني!

كونور:

الحمدلله على أن التقينا ثانية يا أبي!

تليد:

كيف نجوت يا بُني؟

كونور:

لقد قالت لي أمي أن أنام فوق ظهر الحصان ولا أقوم أبدا!

تليد:

وماذا عن الكلب المدعو عيذون؟!

كونور:

هلك يا سيدي!

[قبيلة بني كاسب]

يمشي حبيب في السوق يتصنع أنه يتفقد أحوال الباعة واستوقفه بهادير قائلاً:

سيد حبيب!

حبيب:

كيف حالك يا سيد موسى ؟!

بهادير:

لله الحمد يا سيدي تعال أريدك أن تشرب هذا الشراب سيعجبك جداً!

حبيب:

حسناً!

ليدخل حبيب إلى الدكان وقدم بهادير له الشراب فشربه حبيب بتلذذ بليغ ثم قال:

يا له من شراب جميل يا سيد موسى!

بهادير:

هنيئا مريئا يا سيدي!

ثم جلس معه بعض الوقت ورحل وأثناء سيره نحو خيمة علي سقط مغشياً عليه فصاح الناس:

لقد سقط السيد حبيب ،أيها السيد علي انجد أخاك!

ليركض علي خارج الخيمة ليجد حبيباً ساقطاً على الأرض فقام بحمله على كفيه ثم قال وهو يقاوم دمعه:

اصمد يا أخي،من الذي فرط بك هكذا؟!

وأدخله خيمته وقال لأسما:

ماذا أفعل يا أسما ،اعتني به حتى أحضر الطبيب عثمان!

فأتت أم علي ودخلت إلى الخيمة فوجدت علي في وجهها فقالت:

ماذا يحدث يا علي ما حدث لأخيك ؟!

ولم تنتظر جواب علي لتنظر إلى حبيب المطروح على الفراش وتضرب صدرها فزعاً من هول الموقف!

ولم يهتم علي بذلك وذهب ليحضر الطبيب عثمان!

وصل عند خيمة الطبيب عثمان وقال له مستئذناً:

أيها الطبيب عثمان هل تسمح لي؟!

عثمان:

انتظر يا سيدي سوف أخرج لك الآن!

خرج عثمان ليقابل علي قائلاً له:

خيراً يا سيدي؟

علي:

هيا بسرعة أيها الطبيب إن أخي يموت!

فركض علي ومعه عثمان نحو خيمة علي وحينما وصلا الخيمة دخل علي أولا ثم قال لأمه ولزوجته:

هيا اخرجا الآن لقد جاء الطبيب عثمان فخرجا ودخل عثمان فقام بفحص حبيب وتحسس نبضه ثم نظر إلى علي قائلاً:

سيدي إن نبضه ضعيف!

علي:

وما العمل إذاً يا سيد عثمان؟

فنظر عثمان إلى حبيب مرة أخرى فوجد على لحيته نقاط من عصير البرتقال الذي شربه عند بهادير فأخذ بعض منها على طرف أصبعه وقام باشتمام تلك النقاط فلاحظ اختلاف كبير في رائحة العصير الطبيعي وقال لعلي:

سيدي لقد شرب عصير البرتقال يا سيدي ومن المؤكد أن ذلك العصير هو من أوصله لتلك الحالة!

علي:

أتقصد أنه تم تسميمه؟

عثمان:

نعم يا سيدي والآن هيا لنجعله يتقيىء ما شربه!

فجعل علي أخاه يعتدل ثم جاء من خلفه وحاوطه بذراعيه وظل يطلع وينزل بذراعيه حتى تقيىء حبيب ،ثم قال عثمان لعلي:

قل لوالدتك أن تغلي بعض الأعشاب وتسقيه منها!

علي:

حسناً يا سيد عثمان!

ليخرج علي ومعه عثمان من الخيمة وتدخل أمه وزوجته فأخبرها بما قاله له عثمان ثم انطلق نحو خيمة حبيب لحاجة في نفسه وما أن وصل الخيمة وبدأ يبحث عن الخمر فوجد الصندوق غير مغطى فقام بالتقاط زجاجة منه وقرأ الذي كُتب عليها(صناعة مصرية ١٠٠٪) فجاء في مخيلته بسرعة جلال الدين فهم مسرعاً إليه!

وسار علي على عجالة نحو دكان جلال الدين وفي الطريق قابله عمر وقال له:

عساه خيراً يا سيدي ؟

علي:

اصمت يا عمر!

ثم أكمل سيره وحينما وصل إلى دكان جلال الدين صاح فيه:

جلال الدين!

فقام جلال الدين من مكانه فزعاً ثم جاء علي وقال له بعدما أعطاه زجاجة الخمر:

اقرأ ما المكتوب هنا؟

جلال الدين:

ايه اللي حصل يا علي بيه!

فعاجله علي بصفعة على وجهه ثم قال:

قلت لك اقرأ!

فوضع جلال الدين الزجاجة أمامه ثم بدأ يقرأ:

مكتوب صناعة مصرية ١٠٠٪ يا علي بيه!

علي يمسك جلال الدين من ياقته ويرمي الزجاجة أرضاً:

أنت من تدخل الخمر إلى القبيلة يا جلال الدين!

ثم لكمه:

أخي الآن يلقى حتفه!

ثم لكمه الثانية:

قل لي كيف تدخل بالخمر القبيلة؟

جلال الدين:

أخوك السيد حبيب هو من كان يجعلني أدخل بها له فقط يا سيد علي!

واجتمع الناس حول علي وجلال الدين ومن ضمنهم بهادير وجوكمان ليهمس بهادير في أذن جوكمان كالحية التي تنثر سمها قائلاً:

اذهب الآن فذلك هو الوقت المناسب!

فذهب جوكمان يبحث عن شيء ما وكان علي لا زال ممسكاً بجلال الدين قائلاً له:

ادعو الله أن يفيق أخي وإلا فسوف أرسلك إلى المحروسة جسم بلا رأس!

[كاڤالا]

يدخل كونور ومعه أبوه تليد قاصدين القسم وحينما وصلا طرق كونور مستئذناً أركان:

هل تسمح لي يا سيدي ؟

أركان:

تعال يا كونور!

كونور:

سيدي إن معي رجلاً يريد مقابلتك!

أركان:

فليأت هو الآخر يا كونور!

فدخل كونور وخلفه تليد الذي كان مثلما وفك اللثام ليتفاجىء أركان بالسيد تليد وقال:

الرئيس تليد ؟!

تليد:

كيف أجدك يا أركان؟

أركان:

الحمدلله يا سيدي!

كونور:

ما حدث هو أقرب ما يكون للخيال أكثر من كونه للواقع!

تليد:

أتريدان أن تعرفا كيف نجوت؟

أركان:

نعم يا سيدي!

تليد:

لقد كنت مرتدياً لواقي نحاسي سميك ثقيل وحينما أخذت الرصاصة تصنعت السقوط والموت حتى لما خرجوا من البيت ظللت أركض حتى أجد ولدي وامرأتي وعند شجرة كانت تبعد عن البيت قليلاً وجدت امرأتي قد لاقت حتفها فحملتها إلى الداخل!

كونور:

حمداً لله على سلامتك يا أبي ،لقد بُلغت اليوم معلومة مهمة!

أركان:

فلتقل إذاً!

كونور:

بهادير الأخ الأكبر لعيذون ذهب وانخرط في قبيلة بني كاسب يريد الإنتقام لعيذون من السيد علي!

تليد:

يجب أن نساعدهم يا أركان هؤلاء قد أنقذوا ابني وقضوا على من أذاقني كل هذه الآلام!

أركان:

بالطبع سنساعدهم يا سيدي،كونور قل اذهب الآن وأحضر زكي عرفان أرسلان على وجه السرعة!

كونور:

حسناً يا سيدي!

فسار كونور قاصداً بيت زكي عرفان أرسلان وحينما وصل طرق الباب ليرد زكي:

من الطارق؟

كونور:

أنا كونور ابن الرئيس تليد يا سيد زكي!

كونور:

حسناً أنا قادم كونور (شاووش)أي أيها المراقب كونور!

وفتح الباب وسلم على كونور ثم قال له:

تفضل يا كونور شاووش!

فدلف كونور إلى الداخل وجلس على الأريكة!

وأغلق زكي الباب ثم قال له:

عساه خيراً يا كونور شاووش!

كونور:

خير إن شاء الله!

زكي:

هذا ظاهر على وجهك يا كونور شاووش!

كونور:

وكيف لا يظهر وقد علمت بأن أبي الرئيس تليد ما زال على قيد الحياة!

فنظر إليه زكي فرحاً ثم قال:

سيدي الرئيس تليد ما زال حياً ؟

كونور:

أجل يا سيد زكي،ولكن جئت لأن الرئيس أركان أرادك!

زكي:

حسناً،ألا تعلم فيما يريدني الرئيس أركان؟!

كونور:

سنذهب إلى بني كاسب يا سيد زكي ونريد مرشد لنا!

[قبيلة بني كاسب]

وبعد مرور ثلاثة أيام وفي خيمة بهادير وجوكمان يمسك بهادير بياقة جوكمان قائلاً له:

أين الولد يا جوكمان،طفل صغير استعصى عليك ها؟

جوكمان:

سأنفذ مخططي اليوم يا سيدي والولد سيسقط بأيدينا!

بهادير:

ستخطفه اليوم ثم ننطلق نحو كوتاهية وهناك سيبدأ العمل الحقيقي سنحارب عدونا ونستدرجه إلى أرضنا!

وبعد ساعتين وفي مكان ما في القبيلة يجلس علي مع حبيب يتحدثان!

علي:

أما زلت تركب دماغك يا حبيب ولا تستمع إلى أحد؟

حبيب:

أنا المسئول الأول عن أمر الخمر هذا يا علي فخلِ سبيل جلال الدين!

علي:

جلال الدين هذا سيرحل من هنا ،من خان مرة يخن ألف مرة!

حبيب ثائراً:

أنا أعطيته كلمة يا علي لماذا تريد أن تصغرني دائماً أمام الناس؟

علي موشحاً بيمناه:

فلتستحبها إذاً،فلتسحب كلمتك يا حبيب وأن هذا الرجل لن يبق في القبيلة ما دمت حيا!

حبيب:

فلتسمعني يا علي!

وفي هذه الأثناء جاءت أسما وهي تبكي:

علي أدركنا يا علي ،لقد ضاع ولدنا محمد!

فوقف علي وكذلك حبيب ثم قال علي:

ماذا تقولين؟حتماً سنجده هنا أو هناك!

أسما:

لقد فتشت عنه في جميع أنحاء القبيلة فلم أجده!

فركض علي ومعه أسما يبحثا عن ابنهما أما حبيب فمسك رأسه ثم لمح بهادير واقفاً في دكانه فتذكر ما حدث له وهرول نحوه وحينما وصل إلى دكانه قال له بهادير:

عساه خيراً يا سيد حبيب!

حبيب وهو يجلس:

اجلس أيها السيد موسى أريد أن أحدث في أمر ما!

بهادير:

آلآن يا سيدي؟!

حبيب:

الآن يا سيد موسى هل لديك عمل أم ماذا ؟

فنظر بهادير نحو البوابة وقال لحبيب:

نعم يا سيدي سوف أذهب اليوم إلى المغرب لكي أشتري بعض أنواع الفاكهة!

حبيب:

وأين مساعدك حامد؟!

بهادير:

لقد سبقنى في الخروج وينتظرني خارج القبيلة وأنا سأغلق الدكان ثم الحق به!

حبيب:

حسناً حينما تعود سنتحدث!

وقام بهادير بغلق الدكان واتجه نحو البوابة وأثناء خروجه دخل ثلاثة من الفرسان وهم تليد وكونور وزكي فنظر إليهم بهادير متعجباً قائلاً لنفسه:

تليد ما زال حياً؟! على أي حال أنا خرجت من القبيلة وسأعود إليها ثانية ليس بثوب موسى التاجر ولكن بثوب بهادير باشا لكي أحرق تلك القبيلة على رؤوس أهلها!

تمت بحمد الله

18/06/2024

قمر بني كاسب لمحمد أحمد جلال!